

بجسم كثيف ذي حواس خمس ذوق وسمع وبصر وشمّ ولس رحمة وشهوة فجذبني الى هواه وغلبني على اختياري أفتماقيني درنة واجعل اننا شريكنا قد جنينا جنابة او ضمناً ضامناً أفن عدلك ان تطالب الواحد دون الاخر او تشبهه او تعاقبه . فمن هاهنا قلنا انه يجب لعدل الباري تعالى ان تُنشر الاجسام (ولو لم تقل النفس ما تقدم ذكره) لتأخذ كل نفس جسدها الخاص الذي معه وبه فعلت الجميل والقيح ويكون الجزاء لجميعهما كما كان الفعل لكليهما . ويجب ايضاً ان تكون اجسام لطيفة لا كثيفة والأفاحتاجت الى طعام وشراب وكسوة وغير ذلك مما لا غنى لها عنه في عالم الكون والفساد بل ان القادر الذي لا يعزب عنه امر وان عظم ينقاهها مع اعادتها من الكثيف الى اللطيف ويكون الصالح في لذّة لا توصف ولا تدرك وافضل الامور واسناها قريب الى الله تعالى . واما الخاطي فيكون في عذاب وعقاب من نار لا تطفأ ودود لا يموت وظلمة لا ضوء فيها واعظم من هذا البعد من الله تعالى لانّ الخاطي لم يُخلق من الله خاطئاً ولا مجبوراً بل خيراً مختيراً فحاد باختياره عن سبيل التمتي وتهور بارادته في هواه الردي وذلك وجب عليه العقاب الذي ليس له انتهاء كما وجب للصالح السالك الطريق المستقيمة بعدل الباري النياح (١) الذي ليس له انتهاء . والله الاب والابن والروح القدس الاله الموحد الذات المثلث الصفات ياتي المجد والمز والشكر والحمد الآن وكل اوان الى ابد الدهور

(تت الرسالة)

(تنبيه) ورد في اخر نسخة مخطبتنا الشرقية ما نصه . « طعنه يده الثانية اليد القبر سليمان صباغ من حموضة عكا الكاثوليكي مذبذباً الى اخيه (هنا يابض في الاصل) جرجي ابن شكر الله جروة الاكرم القاطن يومئذ في دبر سيدة النجاة كرسي بطريركة الريان وكان الفراغ منه في ١٨ أيار سنة ١٢٩٠ »

درس العربية في اوربة

في القرن السادس عشر

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

نُحِن في ربيع سنة ١٥٣٠هـ بنا الى مدينة لوقان احدى حواضر بلجكة فاذا

حالتنا ربوعها وجدنا عدداً لا يُحصى من الطلبة يتزاحمون في ازقتها وشوارعها وهم قد تقاطروا الى كليتها الشهيرة من كل اصقاع اوربة ليرضوا افاديق علومها ويستقوا من مناهل آدابها. أما اساتذتها فقد نالوا من السمعة الطيبة غاية لا متجاوز وراءها ومن المقام الرفيع ما ليس فوقه مرتقى لهمة

١

ولكن دعنا نغرد بالنظر احد هؤلاء الملبين وهو كهل في كمال السن يناهز الخامسة والثلاثين من عمره تلوح على وجهه لوانح الذكاء. فلندخلن مقصورة اختصها لنفسه ليتفرغ فيها للدرس. ها هو جالس وعليه زي ارباب الدين في ذلك العصر. امامه كتاب ضخم تراه غائصاً في مطالعته ومن وقت الى آخر يسطر على حواشيه تعليقات وجداول وحرفاً غريبة الشكل لا شبه لها باللغات الاوربية

وان سألت عن اسم الرجل اجبتك بديها انه يدعى نيقولا كليارد (١) استاذ اللغتين اليونانية والبرانية في كلية لوفان. انكب منذ نعومة اظفاره على درس هاتين اللغتين مع اللاتينية فأصاب في جميعها قصبة السبق حتى تقدم على اترابه وتولى التدريس في عنفوان شبابه. ثم صنف في اصول هذه اللغات كتباً عول عليها العلماء فعملوها ركناً للتعليم في المدارس الكلية وبقيت بمد مزلتها نحو مئة سنة يرجع اليها دون غيرها. وكان كليارد فضلاً عما تقدم دمث الاخلاق لئن العريكة ينجح اليه كل من يعرفه. يد ان احبابه كانوا يلومونه في امر واحد يهذونه فيه كسر في عقله وما ذلك الا رغبة مفرطة في تعلم اللغة العربية (٢)

والحق يقال ان درس العربية لم يكن بين اهل اوربة من الامور السهلة في القرن السادس عشر. وكان من حاول ذلك اشبه بن تصدى اليوم لدرس لغة مجهولة لا تعرف احرف هجائها كلغة الحثيين ولا تردد في ان نشيته بشمبوليون اذ توخى حل الرموز الهيروغليفية بعد ان احاب كتابة « رشيد » المخطوطة بلغتين المصرية واليونانية

(١) كان اسمه الاصلي كليارتس (Cleynants) لكنّه على ما لوف عادة علماء زمانه كان جعل اسمه لاتينياً فسمى كلياردوس (Clenardus) وبالفرنسية (Clénard)

(٢) راجع كتاب المعلم فكتور شوفين الذي عنوانه « Vie et travaux de N. Clénard » وسنعود الى ذكر هذا الكتاب في مقالنا

أجل ان الاحبار الرومانيين كانوا قضوا منذ القرن الثالث عشر بان تمام مدارس خصوصية في كليات اوربة لتدريس اللغات الشرقية لاسيا العربية (١٠١٠) غير ان هذه الاراس لم يُجزها اصحاب المدارس الا ردهة من الدهر ثم انتسخت فالغيت. ولما كانت سنة ١٥١٦ استدعى ملك فرنسا فرنسيس الاول من جنوة الاسقف الملامسة بولس يستنياني لتعليم اللغتين العبرانية والعربية في عاصمة مملكته لكن الاسقف المذكور لم يُقم في فرنسا الا سنتين ثم عاد الى موطنه ولم يخلفه احد في مركزه.

اما جبة الدول الاروية فكان علم العربية فيها سحورا في بدء القرن السادس عشر ولا نستحي من هذا الحكم بلاد اسبانية نفسها فانه لم يبق فيها سوى آثار قليلة من لغة كان غلامناها في عهد الخلافة الاموية نحواً من سبعمائة سنة.

وكان الارويون مع ذلك قد اودعوا خزان كتيبهم شيئاً من المخطوطات العربية. وفي اوائل القرن السادس عشر ظهر في رومة اول كتاب طبع بهذه اللغة (راجع المشرق ٣: ٨٠). وفي سنة ١٥١٦ نُشر كتاب الزبور باربع لغات العبرانية والعربية والكلدانية واليونانية مع ترجمة لاتينية. وهو الكتاب الذي كان المعلم كليزود يقب صفحاته ويمارل حل مغمضاته لا دليل يرشده ولا استاذ يهديه كما انه لم يحصل على كتاب يعينه في ادراك مقصوده كمعجم او غراماطيق بل لم يك عارفاً باحرف الهجاء. ومع قلة هذه الوسائط داوم كليزود على عزمه اسابيع طويلة لم تأخذه في سبيل مساهمة لومة لانهم لم يثبتوا سأم ولا ملل.

وكان كليزود يعرف ان بين العربية والعبرانية تشابهاً وان اللغتين ترجمان الى اصل واحد فاخذ العبرانية كرسية لبلوغ غاياته. واول ما استدل عليه ان قراءة العربية من اليمين الى الشمال كالعبرانية. ثم جعل يقابل بين حروف اللغتين لعله يجد بينهما بعض المواقة في الشكل ويستخلص بذلك حروف الهجاء العربية. فاختر لهذه المقابلة المزمرد الذي تعددت فيها الاعلام رجاء ان يلتقي هذه الاسماء في العربية على صورة لا تختلف

(١) قد بين المسير شرفين في الكتاب الذي توهمنا به (ص ١٢). للاحبار الرومانيين من الماسي المذكورة في تروبيج اللغات الشرقية. ساعدم في ذلك الآباء الدومينيكون. ولولا خوف الاطالة لاتسنا في بيان ذلك. وللتنا نمود اليه مرة اخرى. اما اللغة السريانية فلم تنتشر في اوربة الا بمسنة الساء الموارنة في أواخر القرن السادس عشر

عن العبرانية فلم يزل يكذبُ ذهنه ويسهر جفنه حتى مئّر اربعة احرف من الابدانية العربية وهي الصاد والميم واللام والطاء.

فكان اكتشافه هذا وسيلة لواصله بحبه فجعل يدرس الزمرد آية فآية ويقابل بين الفاظها الاولى والاخيرة في العبرانية وأطراف الآيات نفسها في العربية فتوصل الى معرفة الحروف الهجائية الا بعضها منها كالذال والصاد مما لم يجد له في العبرانية شبيهاً. فاجل البحث عن ذلك مؤتملاً ان يفتك أربتها في فرصة اخرى

ومن طرائقه لتعيين بعض الحروف انه كان يأخذ الفاظاً عبرانية ثلاثية كان يعرف حرفين منها في العربية ويجهل الثالث فيقابل بين الفاظ من اللغتين يقع فيها الحرف المجهول في بدء الكلمة وفي وسطها وآخرها ولا يكف عن المقابلة حتى يتبين الحرف المجهول. وعلى هذا المنوال استدل على حرف السين في «سلام» و«لسان» و«نفس»

ويد أن معرفة كليود الحروف الهجاء لم تكن لترضيه. بل شرع يبحث عن قواعد اللغة العربية مستنداً الى العبرانية فبلغ به ذكاء فهمه الى اصطناع جدول للضائر مع ما يتسر له من تصريف الافعال

ومما كان يشتره في درسه وربطه في ابجائه الحركات العربية فلم يعرف باي حركة يشكل الكلمات وكيف يضبطها. فتلافياً لهذا التحل اتخذ الضوابط العبرانية كقاعدة لضبط الالفاظ العربية. وكثيراً ما كان يكتفي بالنظر الى تركيب الكلمة ضارباً الصفع عن حركاتها على مثال الاخرس الذي يدرك معنى الشيء بمجرد نظره اليه ولو لم يعرف النطق به وبعد ان صار لكليود بعض الإلمام بصرف العربية ونحوها باشر تصنيف معجم عربي للالفاظ التي وجدها في كتاب الزبور الالهي وابتدأ بالزمرد المئة والثامن عشر لتكرر الالفاظ عينها في هيئات متعددة من الإعراب وهي واردة تارة في التردد واخرى في الجمع فعدا به ذلك الى درس الجموع العربية غير انه كاد يتوق فيها لكثرة ما وجد من الصيغ في الجموع المكسرة. ومع ذلك لم يتفك عن المثابرة في درس العربية بزيد النشاط فاصبح هذا العمل يستغرق كل قواه ويلاهيه عن كل شيء سواه وكان يقول عن نفسه ان العربية استنزته فصقتها عشق ذي الهيام (١). ولعمري الحق ان من اعتبر ما

استغرقت هذا الرجل العظيم من اليهود في سبيل مبتغاه اخذهُ العجب العجيب من شدة حزمه وقوة ارادته وجعله في مصف مشاهير الرجال الذين بلغوا بذكائهم الى الاكتشافات الجليلة كشمبوليون وغيرهم بيد ان اشغال المعلم البلجكي بقيت محصورة في فناء داره ولذلك لم ينل صاحبها من الشهرة ما ناله عالم العاديات المصرية

٢

هذا ولم يجترئ كليترد بان اكتشف حروف الهجاء واطّلع على مبادئ اللغة وصنّف معجم الفاظها بل اخذ يسعى في أن يجد له معلماً يزيل مشاكته ويرشده الى معرفة كل اصول العربية وغوامضها. فسمع احد تلامذته يقول ان كُتَيْبَةَ مدينة سلسنكا من اعمال اسبانية تدرّس هذه اللغة. فلم يترّ قراراً لكليترد حتى استغنى عن منصبه في كلية لوفان ورحل الى اسبانية سنة ١٥٣١

فدخل سلسنكا ناشداً ضائعاً. لكنه عرف بعد البحث ان العربية لم تُعلّم في كلية هذه المدينة وانما يوجد في البلدة رجل اسمه نونوس يعرف هذه اللغة. فاسرع الاستاذ البلجكي الى بيته وعلم منه انه كان اخذ العربية عن فخّار عربي الاصل من اشيلية لكنه منذ امد مديد هجر درسها. ثم اشار الى زاوره ان يعرض عن عزمه لما في العربية من المبهمات والمصاعب. غير ان كليترد لم يرض بقوله ولم يلبح على نونوس حتى اتقنه بان يتولى تدريسه. فاجلّه نونوس الى اليوم التالي ليعدّ كتباً ودقّاقته فلما كان صباح يوم الند بكر كليترد استاذهُ الجديد وسمع منه اول امثولة عربية حضرها بما لا يمكن وصفه من الرغبة (الستة للبدد التالي)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

مربة بقلم المعلم رشيد المتوري الشرتوفي (تابع لما سبق)

وفي ذات يوم بينما كان جوسلين يدور حول الاسوار متفقداً هجماً عليه واحد من الخفر كان ساهراً في قمة برج متنجح وطعنه بخنجره طعنة شديدة ولولا الدرع القوية